سورة قريش

مكية، وآياتها أربع
[نزلت بعد التين]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى: إما لا فليعبدوه لإيلافهم، على معنى: أنّ نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة. وقيل: المعنى: عجبوا لإيلاف قريش. وقيل: هو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، وهذا بمنزلة التضمين في الشعر: وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصحّ إلاّ به، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة، بلا فصل. وعن عمر: أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب. وقرأ في الأولى: والتين[1] (١٨٠١). والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم

١٨٠١ ـ عزاه الزيلعي (٤/ ٢٩٣). للثعلبي موقوفًا مقطوعًا فقال: قال عمرو بن ميمون: صليت المغرب خلف عمر... فذكره ورواه عبد الرزاق (٢/ ١٠٩) رقم (٢٦٩٧) عن الثوري عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى «بالتين والزيتون وطور سنين» وفي الركعة الأخيرة «ألم تر ولإيلاف» جميعًا وعزاه الزيلعي لابن أبي شيبة في المصنف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا وقع في الثعلبي. وقال عمرو بن ميمون: صليت خلف عمر المغرب. فذكر الحديث. وكذا وصله عبد الرزاق وابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن =

---

(١) قال السمين الحلبي: وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش، إلا أن الحوفي قال: وردّ هذا القول جماعة، بأنه لو كان كذا كان «لإيلاف» بعض سورة «ألم تر»، وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك. انتهى. الدر المصون.

ليتسامع الناس بذلك، فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم فضل احترام، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم، فلا يجترئ أحد عليهم، وكانت لقريش رحلتان؛ يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته، فلا يتعرّض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم، والإيلاف من قولك: آلفت المكان أولفه إيلافًا: إذا ألفته، فأنا مؤلف. قال [من الطويل]:

. . . . . مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّهْوِ غَيْرِ الأَوَارِكِ[1]

وقرئ: «لئلاف قريش» أي: لمؤالفة قريش. وقيل: يقال: ألفته إلفًا وإلافًا. وقرأ أبو جعفر: «لإلف قريش»، وقد جمعهما من قال [من الوافر]:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَفُ[2]

وقرأ عكرمة: «ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف». وقريش: ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش: وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن، ولا تطاق إلاّ بالنار. وعن معاوية أنه سأل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بم سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلىٰ. وأنشد [من الخفيف]:

= عمرو بن ميمون قال «صلى بنا عمر المغرب. فقرأ في الأولى بالتين. وفي الثانية ألم تر ولإيلاف قريش». انتهى.

---

(١) شددت إليك الرحل فوق شملة من المؤلفات الرهو غير الأوارك

الشملة بالتشديد. والشملال والشميل: الخفيفة السريعة السير، أي: شددت الرحل فوق ناقة سريعة السير ذاهبًا إليك، وتلك الناقة من النوق المؤلفات المعتادات الرهو، أي: السير السهل المستقيم. ويروى: الزهو، بالزاي وهو سيرها بعد ورودها الماء. والأوارك: جمع آركة؛ المقيمات موضع الأراك، ترعاه. أو ترعى نبتًا يقال له الحمض، أي: ليست كذلك يلي معلوفة ومكرمة السفر

ينظر: لسان العرب (زها)، وتهذيب اللغة ٦/ ٣٧٢، وكتاب العين ٤/ ٧٤، والمخصص ١٠/ ٤٩.

(٢) زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف
أولئك أومنوا جوعًا وخوفًا وقد جاعت بنو أسد وخافوا

لمساور بن هند بن قيس يخاطب بني أسد. وقريش خبر. وقولهم «لهم إلف» استئناف لبيان كذبهم. والإلف والآلاف: مصدر ألفه، إذا أحبه واعتاده ولم ينفر منه. وآلف إيلافًا بينهما: جعل بينهما إلفًا. وقد جمعت قريش بين رحلة الشتاء والصيف؛ فتارة ترحل هذه وتارة هذه بلا خوف ولا فزع «أولئك» إشارة لقريش «أومنوا» مبني للمجهول، أي آمنهم ربهم من الجوع والخوف، وقد جاعت وخافت بنو أسد: التفت إلى الغيبة دلالة على الإعراض عنهم، وتعجيب غيرهم من شأنهم.

ينظر: لسان العرب (ألف)، وتاج العروس (ألف)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٤٤٩، وتهذيب اللغة ١٠/ ٣٧٩.

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ ... ـرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا[1]

والتصغير للتعظيم. وقيل: من القرش وهو الكسب: لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين، تفخيمًا لأمر الإيلاف، وتذكيرًا بعظيم النعمة فيه؛ ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به، كما نصب (يتيمًا) بإطعام، وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس، كقوله: [الوافر]

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ.....[2]

وقرئ: «رحلة» بالضم، وهي الجهة التي يرحل إليها: والتنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و ﴿خَوْفٍ﴾ لشدتهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد/ ٢/ ٢٧٣أ كانوا فيه قبلهما،

---

(١) وقريش هي التي تسكن البَحْـ ... ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ... ـرك يومًا لذي جناحين ريشا
هكذا في الكتاب نالت قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالاً ... يحشرون المطر حشرًا كميشا

لتبع. وقريش: تصغير قرش. قال ابن عباس: اسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل اهـ فصغر وسمى به النضر بن كنانة، ثم سمى به أولاده. والمحدثون على أنه اسم لفهر بن مالك بن النضر، وقال الروافض: هو اسم لقصي بن كلاب؛ وتوصلوا بذلك إلى نفي إمامة أبي بكر وعمر لكونهما ليسا قرشيين، لأنهما يجتمعان معه ﷺ بعد قصي، والإمامة من قريش، وقريش مبتدأ، والجملة بعدها مستأنفة مبينة لها، وبها سميت خبر، أي: بسببها، سميت هذه القبيلة قريشًا تأكل، أي قريش البحرية. ويؤيده ما روي قبل هذا البيت وهو:

سلطت بالعلو في لُجَّةِ البحـ ... ـر على سائر البحور جيوشا

ويحتمل أنها القبيلة. والغث الخبيث. والسمين، الطيب وصاحب الجناحين، كناية عن الطير، أو استعارة للغنى، وبالغ في أنها لا تبقي ولا تذر شيئًا مما تظفر به بقوله: إنها لا تترك ريش ذي الجناحين. ويروى «فيه» بدل يومًا وهو يعني قريشاً البحرية. وهكذا: إشارة لحال دابة البحر، أو لما قاله هو. والكتاب: التوراة أو الإنجيل. أو كتب التاريخ. وقريش هنا: القبيلة، ويروى:

هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد.....

أي: يأخذون أموالها. والكشيش في الأصل: الصوت الخفي، أي: أكلا بسهولة، بلا إرهاب ولا إنعاب، فهو مجاز، والنبي محمد ﷺ. وخمشه خمشًا: خدشه. والخموش: الخدوش. والخيلة: الشبح البعيد. والخيل: الخيالة. والرجال: المشاة على أرجلهم. ويحشرون: صفة لرجال، ويبعد رجوعه لقريش، والكميش: السريع. والمنضم: القاطع، أي: يجمعونها بسرعة، لكن المراد بالخموش هنا: الجروح.

البيت للمشمرج بن عمرو الحميري ينظر: خزانة الأدب ١/ ٢٠٤، والمبرد في المقتضب ٣/ ٣٦٢، ولسان العرب (قرش).

(٢) قوله: «كلوا في بعض بطنكم» بقيته: «تعفوا» وقد تقدم شرح هذا الشاهد. (ع)

وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقيل: كانوا قد أصابتهم شدّة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة، وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه. ومن بدع التفاسير: وآمنهم من خوف، من أن تكون الخلافة في غيرهم. وقرئ: من خوف، بإخفاء النون.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها» (١٨٠٢).

١٨٠٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com